﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشّورى: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الإخبارُ عن التَّشريع بعد بيان علمه تعالى دليلٌ على صلاحيَّة التَّشريع لكلِّ زمان

لمّا بيَّن النَّظمُ الجليل أنَّ الله تعالى هو مالك مقاليدِ السَّماوات والأرض، وأنَّه لا متصرِّف في الوجود سواه، فترتَّب على ذلك أنَّه لا تصِحُّ الأديان إلّا بكونها من الله تعالى، ولمّا ختم الآيةَ ببيان شمول علمِه تعالى؛ أتبع ذلك ببيان أنَّ ما شرعه للمسلمين هو عينُ ما وصّى به الأممَ السّابقة، فهو العالِمُ بما يصلح للنّاس[1]، ومن المناسبة: أنَّه تعالى لمّا عظَّم شأنَ الوحي في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾ [الشّورى: 3]؛ أتبعه في هذه الآية تفصيلَ ذلك، فقال جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾، فهذا هو المقصود من الآية[2]، ومن المناسبة على وجه الإجمال: أنَّ النَّظم انتقل "من الامتنان بالنِّعم الجسمانيَّة إلى الامتنان بالنِّعمة الرّوحيَّة"[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿*شَرَعَ﴾: (شرع) أصله شيء يُفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك الشَّريعة، وهي موردُ الشّاربة الماء، واشتُقَّ من ذلك الشِّرْعَةُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 263.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 587.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 49.

في الدّين والشَّريعة[1]، والشِّرعةُ في الدّين: الطَّريق، وقد شَرَعَ لهم يَشْرَعُ شَرْعًا، أي: سنَّ، والشّارع: الطَّريق الأعظم، والشَّريعة والشَّرائع: ما شرع اللّهُ للعباد من أمر الدّين، وأمرَهم بالتَّمسُّك به، والشَّرْعُ: نهجُ الطَّريق الواضح، يقال: شَرَعْتُ له طريقًا، وسُمّيت الشَّريعَةُ شَريعَةً تشبيهًا بشريعة الماء من حيثُ إنَّ من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة رَوِيَ، وتَطَهَّر[2]، والمراد به في الآية الكريمة: طَرَقَ، وسنَّ طريقًا ظاهرًا بيِّنًا واضحًا[3].

2) ﴿وَصَّىٰ﴾: (وصي) أصلٌ يَدُلُّ على وصلِ شَيءٍ بِشَيءٍ، ووصَيْتُ الشَّيءَ: وصَلْتُهُ، والوَصيَّةُ مِن هذا القياسِ، كأنَّهُ كَلامٌ يوصَى، أي: يوصَلُ، والوَصيَّةُ: التَّقدُّمُ إلى الغير بما يعمل به مقترنًا بوعظ، من قولهم: أرض واصيَةٌ: متَّصلة النَّبات، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ [البقرة: 132][4]، وأوصيتُه بولده، أي: استعطفته عليه، وهذا المعنى لا يقتضي الإيجاب، وأوصيته بالصَّلاة أمرته بها، وعليه قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: 153]، وقولُه: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النّساء: 11] أي: يأمركم[5].

3) ﴿كَبُرَ﴾: أصلٌ يدلُّ على خلاف الصِّغر، والكِبْرُ: العَظَمَةُ، ويقال: أكبَرْتُ الشَّيءَ: استَعظَمْتُهُ، وإذا تَعَظَّمَ الشَّيء؛ قيل: كَبُرَ يَكْبُرُ، وكَبُرَ الأمرُ علينا كَبارَةً[6]، وتُستعمل الكبيرة فيما يشقُّ، ويصعب، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ﴾ [الأنعام: 35]، و﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾[7]، والمراد به في الآية الكريمة: عَظُم، وشَقَّ عليهم[8].

4) ﴿يَجۡتَبِيٓ﴾: (جبي) أصلٌ يَدُلُّ على جَمْعِ الشَّيءِ والتَّجَمُّعِ، وجبيتُ الخراج جباية، أي: جمعته، وحصَّلته، وجَبَى المستقي الماءَ في الحوض جبيًا، واجتبى الرَّجلُ الرَّجُلَ؛ إذا قرَّبهُ، قال اللّه تعالى: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [القلم: 50]، أي: قرَّبهُ، واجتباه، أي: اصطفاه[9] واختاره؛ "لأنَّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شرع).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (شرع).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 263.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (وصى).
(5) الفيّوميّ، المصباح المنير: (وصى).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (كبر).
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (كبر).
(8) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 26.
(9) الجوهريّ، الصّحاح: (جبا).

مَن جمع شيئًا لنفسه؛ فقد اختصَّه، واصطفاه، وهو من جَبْوَة اللّهِ وصفوته"[1]، فالاجتباء: جمعٌ على طريق الاصطفاء، قال ﷺ: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [القلم: 50]، واجتباءُ اللّهِ العبدَ: تخصيصه إيّاه بفيضٍ إلهيٍّ يتحصَّل له منه أنواعٌ من النِّعَم بلا سعيٍ من العبدِ[2]، والمراد به في الآية الكريمة الاختيار والاستخلاص[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شـــرْعُ الـلـهِ لعباده مناسبٌ للعبادة قديمًا وحديثًا

يخبر النَّظمُ الكريم أنَّ اللّه تعالى قد شرع لكم أيُّها النّاس ويا أيَّتها الأُمَّة الخاتمة من الدّين ما وصَّى به نوحًا أن يأمر به النّاسَ، ويعملَه، ويبلِّغَه إيّاهم، ومن ذلك الشَّرعُ الذي أوحيناه إليك أيُّها الرَّسول، وهو الإسلام، فأمرناك به، وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى، وأمرناهم بأنِ اعملوا بما شرع لكم، وفرض عليكم، فأقيموا التَّوحيدَ والطّاعة للّه تعالى، ولا تختلفوا في الدّين الذي أمرتكم به، فإنَّه قد عَظُمَ على المشركين ما تدعوهم إليه مِن توحيد اللّه وإخلاص العبادة له، وإنَّ اللّه تعالى يصطفي لدينه من يشاء مِن خَلْقه، ويوفِّق للعمل بطاعته مَن يتوب إليه، ويرجع إلى عبادته[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصل قوله تعالى: ﴿*شَرَعَ لَكُم﴾:

الشُّروع بالثَّناء على سبيل الله وتوحيده

فصل النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾؛ لأنَّها مستأنَفَة استئنافًا ابتدائيًّا، سيقت للتَّنويه بمكانة الإسلام، والشَّريعة، وللتَّعريض بالكفّار الذين أعرضوا عنه[5].

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (جبي).
(2) الرّاغب، المفردات: (جبى).
(3) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 5/ 68، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 12.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 512، وجماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 484.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 49.

بلاغةُ استعمال مفردة ﴿*شَرَعَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل ﴿*شَرَعَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾؛ للدَّلالة على سَنِّه طريقًا لعباده، فاللّهُ تعالى قد أوضح للنّاس المنهاجَ والسَّبيلَ القَويم، وبيَّن لهم ما فرضه عليهم، والشّارع هو الطَّريق الأعظم[1]، فهو الواسع البيِّن، وأطلق على سنِّ القوانين التي تبيِّن سبيلَ الحياة للنّاس، فـ ﴿*شَرَعَ﴾ هنا دالٌّ على التَّبيين[2]، وإنَّما آثَر ﴿*شَرَعَ﴾ دون أن يقول: (فرض عليكم)؛ لأنَّ النِّعم المتقدَّمَ ذِكْرُها هي من فيض الرُّبوبيَّة، فكان السّياقُ أنسبَ باللُّطف، فجعل الشَّرعَ للنّاس لا عليهم، لما في حرف الاستعلاء من الوجوب والتَّكليف، وأنَّه منحةٌ وعطيَّة للنّاس من فضل الله تعالى عليهم.

توضيحُ المنهاج وتبيين السَّبيل منَّةٌ جليلة من الله

نُكْتَةُ الالتفات من الغَيبة إلى التَّكلُّم:

التفت النَّظمُ الجليل من التَّعبير بالضَّمير الغائب في الفعلين (﴿*شَرَعَ﴾، و﴿وَصَّىٰ﴾)، إلى التَّعبير بضمير المتكلِّم في فعل الوحي في قوله جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾؛ وجاء ذلك تعظيمًا للوحي المُنزَّل على النَّبيِّ ﷺ، وتفخيمًا لشأنه، وإظهارًا لكمال العناية به[3]، وفيه أيضًا أنَّ خطاب نوحٍ عليه السلام غائبٌ عن المخاطَبين زمانَ بعثةِ النَّبيِّ ﷺ، فجيء بضمير الغائب، ثمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ﴾ بصيغة المتكلِّم؛ وذلك لأنَّه خطابٌ للحاضر[4].

شَـــزْعُ الـلـه تعالى والوحي بـالـرِّسـالـة الخاتمة أعظمُ النِّعم وأجلُّها

نوع اللّام في ﴿لَكُم﴾ ودلالتُها:

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (اللّام) في قوله جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، وهي

شَـرَّعَ العليمُ الشَّريعة لمنافع النّاس

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (شرع).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 49.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 3.

هنا دالَّة على التَّعليل، أي: شرع لأجلكم تلك الشَّرائع[1]، فدلَّت على أنَّ تلك الشَّرائع تضمَّنت الخيرَ للنّاس، فقد شرَّعها العليمُ الخبير لأجلهم بما يناسبهم، ويحقِّق مصالَحهم.

بلاغة الخطاب في ﴿لَكُم﴾:

خاطب النَّظمُ الجليل في قوله جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم﴾ النّاس كلَّهم بهذا التَّشريع، فهو تشريعٌ للنّاس جميعًا فضلًا من الله ورحمة بهم[2]، ويجوز أن يكون الخطاب مقتصِرًا على أُمَّة النَّبيِّ ﷺ[3]، وفائدتُه أنَّه تنويهٌ بالإسلام وتشريفٌ لأتباعه[4].

الإبلاغُ بالتَّشريع امتنانٌ وتنويهٌ بالمخاطَب

نوع ﴿مِّنَ﴾ ودلالتُها:

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ ﴿مِّنَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، وهي هنا بيانيَّة تبيِّن جنس التَّشريع[5]، فهو تشريع من الدّين المُلزم اعتقادًا وسلوكًا، وإنَّما كانت بيانيَّة؛ لأنَّه ذَكر من ضمن الذي شَرَّعه لهم ما أوحى به للنَّبيِّ ﷺ، فلا يكون الوحي بعضًا من الدّين؛ لأنَّه هو أساسُه، وأصله، وجعلها العلّامة ابن عاشور دالَّة على التَّبعيض[6].

ما شرعَهُ اللهُ تعالى هو الدّين المُلزِمُ للعباد

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلدِّينِ﴾:

عرَّف النَّظمُ الجليل ﴿ٱلدِّينِ﴾ بالألف واللّام في قوله جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، وهي هنا لتعريف الجنس، فهو يعمُّ الأديان السّابقة[7]، وأراد به الطَّريقَ المستقيم الذي بُني على توحيد الله تعالى[8].

إنَّ الدّين واحد وهو عند الله الإسلام

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 70.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 512.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 607، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 58.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 49.
(5) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 8/ 501.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 50.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 50.
(8) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 286.

نُكْتَة تقديمِ شبه الجملة على المفعول به:

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة من الجارِّ والمجرور ﴿لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ على المفعول به ﴿مَا﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾؛ إظهارًا للعناية بالمخاطَبين، وأنَّ المقصود من التَّشريع منافعُهم ومصالحُهم.

كمالُ العناية بالمخاطَبين هي أصل التَّشريع

نُكْتَةُ إيثار الموصول ﴿مَا﴾ والتَّعبير به دونَ الظّاهر:

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاسم الموصول دونَ الاسم الصَّريح في قوله جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾، فلم يقل: (شرع لكم من الدين وصية نوح)؛ وذلك جاء تفخيمًا لشأن تلك الوصايا التي نزلت على نوح ﷺ، أي: الذي وصّى به نوحًا توصيةً عظيمة[1]، وذلك لما في ﴿مَا﴾ من الإبهام الدّالِّ على التَّفخيم والتَّعظيم.

شريعةُ اللهِ المُنَزَّلة أعظِمْ بها مسلكًا وسبيلًا للحقِّ!

نُكْتَة التَّعبير بـ﴿وَصَّىٰ﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بصيغة (فعَّل) في قوله تعالى: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾؛ للدَّلالة على التَّكثير والمبالغة؛ تعظيمًا لشأن تلك التَّوصية، فهي من العظمة بحيثُ إنَّها تبقى خالدةً صالحة على مرِّ الزَّمان من نوح ﷺ إلى الرِّسالة الخاتمة، وإيثارُ التَّعبير بالتَّوصية؛ لأنَّها أمرٌ على سبيل التَّوكيد[2]، فهي "معربةٌ عن تأكيد الأمرِ والاعتناء بشأن المأمور به"[3].

الوصيَّة أمرٌ عظيم يلزم الإيفاءُ به

نوع الباء ﴿بِهِۦ﴾ ودلالتُها:

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الجرِّ ﴿بِهِۦ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾، وهي هنا للتَّعدية، والمعنى: ألزمهم، وكلَّفهم ذلك[4]، أي: "قد وصَّيناه وإيّاك يا محمَّد دينًا واحدًا"[5].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 264.
(2) المهايميّ، تبصير الرّحمن: 2/ 244.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 58.
(4) ابن عادل، اللّباب: 8/ 511.
(5) الخازن، لباب التّأويل: 4/ 95.

تعيين مرجع الضَّمير ﴿بِهِۦ﴾:

يعود الضَّمير المتعلِّق بفعل التَّوصية في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ﴾ على الدّين[1]، فالَّذي وصّى به نوحًا هو الدّين الذي أمره به.

نُكْتَة التَّصريح باسم نوح عليه السلام:

شريعة التَّوحيد قديمة متَّصلة بأوَّل الأنبياء

ابتدأ النَّظمُ الجليل بذكر نوح عليه السلام في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾؛ وذلك للإشارة إلى صلاح الشَّريعة منذ الزَّمان الأقدم، وأنَّ الرِّسالة الخاتمة امتدادٌ لما وصّى اللّهُ تعالى به نوحًا عليه السلام[2]، وفيه أيضًا تزكيةٌ لشريعة النَّبيِّ ﷺ، فإنَّ ما شرَّعه له هو ما شرَّعه للأنبياء بدءًا من أوَّل الأنبياء، فهو دينٌ قديم أجمعَ عليه الرُّسل منذ القِدم[3].

معنى الواو ودلالتُها في قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ﴾:

الرِّسالة الخاتمة مغايرةٌ لسابقها تفصيلًا وتفريعًا

عطف النَّظمُ الجليل الوحي على الوصيَّة بالواو في قوله جلَّ شأنه: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ للدَّلالة على ما بينهما من المغايرة التي تأتَّتْ من التَّفصيل وكثرة التَّفريع[4]، وفيه إيماءٌ إلى اتِّصال شريعة النَّبيِّ ﷺ بالشَّرائع التي قبلَه؛ ردًّا على مَن ظنَّ ابتداعَ الرِّسالة وغرابتها.

علَّة استعمالِ (الذي) دون (ما):

التَّعبير بأعرف الموصولات لَمْحٌ لفخامة شأنِ الرِّسالةِ الخاتمة

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبير بالاسم الموصول (الذي) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، فلم يقل: (ما أوحينا إليك)، كما قال: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾؛ لأنَّ (الذي) هو أصل الموصولات، فأفاد ذلك تفخيمَ شأنِ النَّبيِّ ﷺ[5]، ولأنَّ الشَّرائع السّابقة ليست معهودةً

(1) الخازن، لباب التّأويل: 4/ 95.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 264.
(3) القنوجيّ، فتح البيان: 12/ 283، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 24.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 51.
(5) القنوجي، فتح البيان: 12/ 284.

للمخاطَبين لبُعْد عهدِها بهم، وأمّا الموحَى به إلى النَّبيِّ ﷺ؛ فهو شرعٌ متداوَل فيهم، معروف عندهم[1].

بلاغة استعمال ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ مادَّةً وصيغةً دونَ (وصّينا):

الوحي أدلُّ على النُّبوَّة وأصرح بالتَّفضيل

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالوحي مع النَّبيِّ ﷺ دونَ الوصيَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، فلم يقل: (الذي وصّيناك به)؛ تعظيمًا لرسالته ﷺ؛ لأنَّ الوحيَ أدلُّ على النُّبوَّة من التَّوصية، كما أنَّه تصريح برسالته ﷺ[2]، و"لأنَّ الشَّرائع التي سبقت شريعة الإسلام كانت شرائعَ مؤقتةً مُقدَّرًا ورودُ شريعة بعدَها، فكان العمل بها كالعمل الذي يقوم به مؤتمَنٌ على شيء حتّى يأتيَ صاحبُه، وليقعَ الاتِّصال بين فعل ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، وبين قوله في صدر السّورة: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشّورى: 3]"[3].

غرضُ إسناد فعلِ الإيحاء إلى ضمير العظَمة:

تعظيم الوحي لتفخيم الموحَى إليه

أسند النَّظمُ الجليل فعلَ الإيحاء إلى ضمير التَّعظيم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾؛ تعظيمًا لأمر الإيحاء، والمراد: تفخيمُ شأن النَّبيِّ ﷺ[4]، وفيه بيانٌ لمكانة دعوته ﷺ، وما لها من منزلة كبيرة جديرة بالنِّسبة إلى الله تعالى[5]، فإبرازُ الفعل في مظهر العظَمة بالإسناد إلى الضَّمير والتَّعبير بلفظ الوحي، أي: بالأصل في الموصلات، والدَّلالة على زيادة عظمته بتقديمه على مَن كانوا قبله، مع ترتيبهم عند ذكرهم على ترتيبهم في الوجود حصرٌ للإعجاز وتخصيصُه به تعالى، وتشريفٌ لمقام النَّبيِّ ﷺ[6].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 52.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 53.
(4) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 70.
(5) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 23.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 264.

دلالة حرف الجَرِّ (إلى):

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (إلى) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، وهو دالٌّ على الغاية، وذلك للدَّلالة على بلوغ الوحي إليه ﷺ.

علَّةُ ذِكْر الوحي بين وصيَّتين:

الوحيُ المحمَّديُّ حاكم لما قبله من الوحي ومهيمنٌ عليه

أورد النَّظمُ الجليل ذِكر الوحي للنَّبيِّ ﷺ بين وصيَّتين في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾؛ وذلك لأنَّه بعد أنْ بيَّن أوَّلَ الرِّسالات، وهي رسالة نوح عليه السلام، وأتبعه بخاتمتها؛ أتبع ذلك ما كان بينهما من الرَّسائل والشَّرائع[1]، فإيرادُ ذِكْر الإسلام بعد ذِكْر دينِ نوح عليه السلام يُشير إلى أنَّ الإسلام هو الخاتم للأديان، فجمع بين طرفَي الأديان، ثمَّ ذكر الأديان الأُخَر لتوسُّطها بينهما[2].

سرُّ الخطاب بـ (لك) بعد الخطاب بـ ﴿لَكُم﴾:

فهمُ القرآنِ حقَّ فهمِه من خواصِّ النَّبيِّ ﷺ

خاطَب النَّظمُ الجليل النَّبيَّ ﷺ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ بعد خطاب الجمع، فلم يقل: (أوحينا إليكم)؛ وذلك جاء تشريفًا له ﷺ وتعظيمًا، وإيماءً إلى أنَّه لا يفهمه حقَّ فهمِه غيرُه ﷺ[3]، وتنبيهًا على عُلوِّ منزلتِه، فإنَّ الله تعالى شرعَ لهم ذلك على لسانِه ﷺ[4].

نوع الواو في قوله: ﴿وَمَا وَصَّيۡنَا﴾:

الشَّريعة الخاتمة شاملةٌ لكلِّ الشَّرائع قبلها

عطف النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾ على وصيَّة نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾، فالجملةُ واقعة ضمن حيِّز الفعل

(1) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 286.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 51.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 264 - 265.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 26.

﴿*شَرَعَ﴾[1]، ودلَّ ذلك أنَّ ممّا شرعه اللّهُ تعالى للنّاس ولهذه الأمَّة الخاتمة هو ما أمر به تعالى الرُّسلَ من أولي العَزْم[2].

دلالة استعمال (ما):

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاسم الموصول عمّا شَرَعه للأنبياء ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾؛ للدَّلالة على فخامة تلك الوصايا، وتعظيمِ شأنها.

نُكْتَةُ إسناد (وَصّى) لضمير العظَمة:

أسند النَّظمُ الجليل فعلَ التَّوصية إلى ضمير التَّعظيم في قوله تعالى: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ﴾، أي: بما لنا من العظَمة، فالتَّعظيم يُرادُ منه تفخيمُ شأن تلك الوصايا[3].

نُكْتَة ترتيبِ المُرْسَلين:

البَدءُ بالأقدم والثَّنية بالخاتم الأعظم، ثمَّ سردٌ تاريخيٌّ

رتَّب النَّظمُ الجليل الأنبياء في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾، فابتدأ بنوح؛ لأنَّه أوَّل الرُّسل، ثمَّ أتبعه بذِكْر النَّبيِّ ﷺ؛ تنويهًا بزيادة عظَمته، ولأنَّه آخرُ الرُّسل، ثمَّ ذكر بعد ذلك الأنبياء من أولي العزم، مرتَّبًا إيّاهم بحسب ترتيبهم في الوجود[4].

توجيهُ تخصيص هؤلاء المرسلين بالذِّكر:

أولو العَزْم أولى النّاسِ بالذِّكر

خصَّ النَّظمُ الجليل ذِكْرَ الأنبياءِ الخمسة في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ دونَ سواهم؛ وذلك لأنَّهم أكابر الأنبياء ﷺ، ولأنَّهم أصحاب شرائعَ معروفةٍ، ولهم أتباعٌ كُثُر[5]، وقد خُصّوا بالذِّكر

(1) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم: 8/ 501.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 58.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 265.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 264.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 587.

أيضًا؛ لأنَّهم أولو العَزْم من الرُّسل، وفي ذكرهم استمالةٌ لقلوبِ أتباعهم[1]، ونوحٌ ﷺ أوَّل الرُّسل؛ فدينُه أساسُ الدّيانات، وإبراهيمُ أصل الحنيفيَّة، وهو أشهر الأنبياء بين العرب، وأمّا موسى؛ فشريعتُه أوسعُها انتشارًا قبلَ الإسلام، وأمّا عيسى؛ فلأنَّه آخرُ الرُّسل قبلَ النَّبيِّ ﷺ، ولم يكن بينه وبين الإسلام دينٌ آخر[2].

نوع ﴿أَنْ﴾ ودلالتُها:

ما شَرَعَهُ لهم حفظُ الدّين وإقامتُه على شروطه

عبَّر النَّظمُ الجليل بالحرف ﴿أَنْ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾، وهي صالحة أن تكون تفسيريَّةً ومصدريَّة، فهي تفسيريَّة؛ لأنَّه قد سبقها ما فيه معنى القول، وهو الفعل ﴿شَرَعَ﴾، فجيء بها لتفسير ما وصّى به الأنبياءَ[3]، ويجوز أن تكون مصدريَّةً، فيكون المصدر المؤوَّل منها ومن الفعل (إقامة) لمبتدأ محذوف، تقديره (هو)، فكأنَّه قيل: ما الَّذي شرعه الله تعالى؟ فقيل: هو إقامة الدّين[4].

دلالة انتقاء مفردة ﴿أَقِيمُواْ﴾ مادَّةً وصيغةً:

حفظ الدّين وإقامتُه على أصوله وفروعه فريضةٌ منذ القِدَم

عبَّر النَّظمُ الجليل بالإقامة في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾؛ للدَّلالة على حفظ الدّين من الزَّيف، وعلى المواظبة عليه، وإقامة شروطه، وتعديل أركانه، فيبقى الدّين قائمًا على مرِّ الزَّمان بلا زيغٍ أو انحراف عن الصِّراط المستقيم[5]، وجاء التَّعبيرُ بفعل الأمر؛ للدَّلالة على وجوب الإقامة ولزومها.

معنى تعريف ﴿ٱلدِّينَ﴾:

دين الفطرة هو الدّين الشّامل للشَّرائع السَّماويَّة

عرَّف النَّظمُ الجليل ﴿ٱلدِّينَ﴾ بالألف واللّام في قوله جلَّ شأنه:

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 25.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 51.
(3) الزّجّاج، معاني القرآن: 4/ 396، والخازن، لباب التّأويل: 4/ 95.
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 607.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 26، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 25.

﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾، وهو هنا تعريف الجنس، فهو دين الفطرة "الذي اتَّفق عليه الخلائقُ بالرُّجوع إلى ما فطروا عليه وقتَ الاضطرار، وهو التَّوحيد والوصف بجميع صفات الكمال على الإطلاق، وغيرُ ذلك من كلِّ ما أرسلَ به رسلَه"[1].

نوع الواو في قوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾:

عطف النَّظمُ الجليل النَّهي عن الافتراق على الأمر بالإقامة في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾؛ وذلك لأنَّه لمّا عظَّم شأن الدّين بالأمر بالاجتماع عليه؛ أتبعَه بالنَّهي عنِ الافتراق فيه[2].

دلالةُ ذِكْر التَّفرُّق دون الاختلاف:

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالتَّفرُّق دون الاختلاف في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾؛ لأنَّ التَّفرُّق مذمومٌ؛ لأنَّه يدلُّ على كمال الانفصال، وعلى تشتيت الشَّمل والكلمة[3]، أمّا الاختلاف؛ فلا يقتضي التَّفرُّقَ والانفصال، فقد يكون اختلافَ تنوُّعٍ لا اختلافَ تضادٍّ.

التَّفرُّق تشتيتٌ مذموم لا تنوُّعٌ محمودٌ

سرُّ تقييد فعل ﴿تَتَفَرَّقُواْ﴾ بقيد ﴿فِيهِۚ﴾:

قيَّد النَّظمُ الجليل التَّفرُّقَ بشِبه الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ دون أن يكون المَنهيُّ عنه مطلقَ التَّفرُّقِ؛ وذلك لأنَّ التَّفرُّق في الدّين أسوأُ وأضرُّ تفرُّقٍ، وأنَّ التَّفرُّق في غيره أمرٌ لا مَفرَّ منه لطبيعة الإنسان.

أسوأ التَّفرُّقِ التَّفرُّقُ في الدّين شدَّةً وضررًا على النّاس

علَّةُ فصلِ جملة ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾:

فصل النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾؛ لأنَّها مستأنفة استئنافًا تعليليًّا، فعلَّة

ظهورُ الحقِّ شاقٌّ على أهل الزّيغ والتَّفرُّق

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 265.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 266.
(3) الرّاغب، المفردات: (فرق).

النَّهي عن التَّفرُّق في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾، هو أنَّ الاجتماع على عبادة الله تعالى وحدَه شقَّت على المشركين، فلأجل ذلك تراهم يَسْعَون في تفرُّقكم عنه[1]، ويجوز أن يكون استئنافًا بيانيًّا، سيق للجواب عن سؤال مَن يتعجَّب من إعراض المشركين عن دعوة الإسلام، مع أنَّه مُؤَيَّدٌ بما سبق من الأديان، فأُجيبَ بأنَّه الإسلام قد شقَّ عليهم، فتجهَّموه، وأعرضوا عنه[2].

بلاغة اختيار ﴿كَبُرَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل ﴿كَبُرَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ﴾، وهو في الأصل يدلُّ على ضخامة الذّات وعِظَمها، فدلَّ التَّعبيرُ به على ثقله على نفوس الكافرين وصعوبة تقبُّلهم له؛ لأنَّ الشَّيء الضَّخم يصعب حمله[3]، أي: "شقَّ، وعَظُم عليهم ما تدعوهم إليه من الدّين المبرَّأ من عبادة غير الله"[4]، فدلَّ التَّعبيرُ به على الأثر العظيم الَّذي وقع على المشركين بما دُعوا إليه من التَّوحيد ونبذ الأصنام الموروثة من آبائهم، وجاء التَّعبيرُ بالفعل الماضي على وزن (فَعُلَ) للمبالغة في صعوبته، والدَّلالة على تحقُّق المشقَّة.

التَّوحيد والائتلاف عليه ثقيلٌ على نفوس الكافرين

دلالةُ استعمالِ حرف الاستعلاء:

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ الدّالِّ على الاستعلاء ﴿عَلَى﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ﴾؛ وذلك للدَّلالة على ثقل التَّوحيد وعُسرِه على المشركين[5].

دلالةُ استعمال عنوان الشِّرك دون الكفر:

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالشِّرك دون الكفر في قوله جلَّ شأنه:

التَّوحيد والبراءة من الأوثان علَّة المشقَّة على المشركين

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 266.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 54.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 54.
(4) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 70.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 54.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾؛ إيماءً إلى أنَّ الذي شقَّ عليهم هو التَّوحيد، وعَظُمَت عليهم البراءة من عبادة غير الله تعالى[1]، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [الزّمر: 45].

غرض التَّعبير بالاسم الظّاهر ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ دون الاسم الموصول:

صفة الشِّرك راسخةٌ بالمشركين على وجه العراقة والثُّبوت

عبَّر النَّظمُ الجليل عن المشركين بالوصف دونَ الاسم الموصول في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾، فلم يقل: (كبر على الذين أشركوا)؛ وذلك للدَّلالة على رسوخ صفة الشِّرك فيهم، وثباتِهم عليه، وعراقتِهم فيه.

نوع ﴿مَا﴾ ودلالةُ استعمالها:

كلُّ دعوة الإسلام ثقيلةٌ على الضّالّين

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾؛ تعبيرًا عن دعوة الإسلام والتَّوحيد؛ وذلك لاعتبار إنكار المشركين لها[2]، كما أنَّه يدلُّ على أنَّ عموم ما تضمَّنه الإسلام ودعوةُ التَّوحيد قد كَبُرَ وشقَّ عليهم.

غرض التَّعبير بالمضارع ﴿تَدۡعُوهُمۡ﴾:

الدَّعوة إلى الحقِّ دائمةٌ مستمرَّة

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارع عن الدَّعوة في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾؛ لتجدُّد دعوة النَّبيِّ ﷺ والمسلمين للمشركين ودوامِه عليها.

دلالةُ تقييد الدَّعوة بالضَّمير دون الإطلاق:

مصدرُ مشقَّتِهم قَصْدُهم بالدَّعوة

أوقع النَّظمُ الجليل فعلَ الدَّعوة على الضَّمير في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ دون أن يقول: (كَبُر على المشركين ما تدعون إليه)؛ لأنَّ المشقَّة وقعت عليهم؛ لأنَّه قصدهم بالدَّعوة، فلمّا عبَّر بالمشقَّة التي وقعت عليهم؛ ناسبَ أن يذكر أنَّه

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 70.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 54.

عناهم بالدَّعوة، فلم تكن دعوتُه لغيرهم ممّا يشقُّ عليهم، وإن كانوا يقفون منها موقفَ العِداء، فالحديثُ في السّياق مقصودٌ به المشقَّةُ، وهي وقعت؛ لأنَّ الدَّعوة وُجِّهت إليهم.

نُكْتَةُ استعمالِ (إلى) دون اللّام:

الإسـلام غايةٌ سامية، بلوغ النّـاس إليها مُرادُ الدُّعاة

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (إلى) في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾، وهو دالٌّ على الغاية، فالدَّعوة يُراد منها أن يدخل المشركون في الإسلام حتّى يُبَلِّغوه، ويكونوا من أهله، وهذا ما شقَّ عليهم، ونكَّروه.

علَّة فصلِ جملة: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾:

تكليفُ المسلمين بالشَّريعة الخاتمة اصطفاءٌ من الله تعالى

فصل النَّظمُ الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾؛ لأنَّها مستأنَفة استئنافًا تعليليًّا، سيق لبيان علَّة إرشادِ أُمَّةِ النَّبيِّ ﷺ إلى الشَّريعة؛ وذلك لأنَّه اجتباهم، واصطفاهم، فإنَّه تعالى يخصُّ من يشاء بالرِّسالة والدِّين، ولا اعتبار بالحَسَب والنَّسب والغِنى[1]، ويصحُّ أن يكون استئنافًا بيانيًّا، وذلك أنَّه لمّا أخبر بكِبَرِهِ ومشقَّته عليهم، ربَّما أوهم أنَّ أحدًا لن يؤمن به، فكأنَّه أُثير سؤالٌ، فقيل: كيف السَّبيل مع ذلك إلى دخول أحدٍ في هذا الدّين؟ فأجاب مُزيلًا ذلك الوهمَ بأنَّ الله تعالى يصطفي من عباده من يشاء[2].

براعةُ استعمال اسم الجلالة بعد ذِكْر جمالِ أفعاله السّابقة:

الاجتباء للقُرب من المولى تعالى منالٌ عظيمُ الشَّأن جليلُ القدر

صرَّح النَّظمُ الجليل باسم الجلالة بعد ذِكْر أفعاله السّابقة في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾؛ وذلك للمبالغة في التَّعظيم، وتفخيم قدرته، فالله تعالى الذي له مجامع العظَمة بكلِّ أسبابها هو الَّذي يجتبي لدينه وللقُرْب منه مَن يشاء من

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 588.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 267.

عباده[1]، وهذا يفصح عن عُلوِّ منزلة أولئك الَّذين اصطفاهم مولاهم، فإنَّ الله تعالى اختصَّهم بالقُرْب من سائر عباده.

بلاغةُ استعمال مفردة ﴿يَجْتَبِيٓ﴾ مادَّةً وصيغةً:

الاصطفاء للقرب حاصل بغاية العناية

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاجتباء في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه يجلب، ويجمع إليه مَن يختار، ويَصطفي من عباده[2]، أي: إنَّه يختار بغاية العناية والمعرفة لمَن يستحقُّ تلك المكانة[3]، والتَّعبير بصيغة (الافتعال) يرسِّخ الدَّلالة على تلك العناية لما في الصّيغة من دلالة على التَّكلُّف والاجتهاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ﴾ [الأعراف: 203][4].

علَّةُ ذِكْر ﴿إِلَيْهِ﴾ دون الاكتفاء بالإطلاق:

عظَمةُ الاجتباءِ بعظم غايتِه والمقصود منه

قيَّد النَّظمُ البليغ الاجتباءَ بشبه الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ﴾، دون أن يُطْلِق التَّعبير، فلم يقل: (يجتبي مَن يشاء)؛ وذلك لبيان غاية الاجتباء تعظيمًا له، فهو يُقرِّب، ويصطفي إلى دين التَّوحيد مَن يشاء[5]، ويصلح الضَّميرُ أن يكون عائدًا على الله تعالى، فيكون القيد دالًّا على فخامة الاجتباء وعظَمته السّامية[6].

دلالة التَّعبير بالموصول: ﴿مَن﴾:

رحمةُ الله واسعةٌ لا تنحصر بقوم ولا بزمانٍ ومكان

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاسم الموصول ﴿مَن﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾؛ وذلك لما فيه من دلالة على العموم، فالاجتباء لا ينحصر بقوم دون غيرهم، فرحمةُ الله تعالى تسَعُ أن يصطفي لدينه من عباده في كلِّ عصر من العصور إلى يوم القيامة.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 267.
(2) السّيرافيّ، التّقريب، ص: 229.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 267.
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (جبو، جبى).
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 267.
(6) ابن جزي، التّسهيل: 2/ 246.

دلالة عطف الهداية على الاجتباء:

السَّعي للهداية يُثمِر التَّوفيقَ إليها

عطف النَّظمُ الجليل الهدايةَ على الاجتباء في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾؛ ليجمعَ بين الاصطفاء الواقع بمشيئته تعالى بلا كسب من العبد، وبين الهداية إلى سلوك سبيل الحقِّ بتوفيق العباد إليه[1]؛ وذلك للدَّلالة على أنَّ الخير والنَّجاح لا ينحصر برتبة مَنِ اجتباهم اللهُ تعالى، وأنَّ اجتهاد العبد وسعيَه للهداية والرُّجوع إلى مولاه يُثمِر الهداية والتَّوفيق للدّين؛ منعًا للعباد عن الاتِّكال.

بلاغةُ التَّعبير بالهداية مادَّةً وصيغةً:

السَّعيُ للهداية يُثمِر التَّوفيقَ إليها

عبَّر النَّظمُ الجليل بالهداية في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الله تعالى يوفِّق، ويُرشد إلى التَّوحيد والطّاعة مَن أناب إلى مولاه، ويمدُّه بلطائف التَّثبيت والإيمان[2]، وذلك إذا أظهر أسبابَ الهداية، وتطلَّع إلى سلوك نفسه في أهل الصَّلاح.

دلالة التَّعبير بالموصول ﴿مَن﴾:

التَّوفيق إلى الهداية شامل لكلِّ من سعى إليها

آثَر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاسم الموصول ﴿مَن﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾؛ وذلك لما فيه من دلالة على العموم، فكلُّ من آبَ إلى مولاه، ورجع إلى الصَّلاح؛ فإنَّ الله تعالى يوفِّقه للخير، ويحقِّق له تمام الهداية.

نُكْتَةُ استعمال ﴿يُنِيبُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

تجديد الأوبة والتَّوبة يحقِّقُ القَبولَ وعُلوَّ الرُّتبة

عبَّر النَّظمُ الجليل بالإنابة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾؛ للدَّلالة على الرُّجوع إلى الله تعالى بالتَّوبة وإخلاص العمل[3]، فاللهُ تعالى يهدي مَن يتوب توبةً نصوحًا، ويوفِّقه للخير

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 267.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 62.
(3) الرّاغب، المفردات: (نوب).

والصَّلاح، وجاء التَّعبيرُ عن ذلك بالفعل المضارع؛ للدَّلالة على أنَّه يجدِّد الرُّجوعَ إلى طاعة مولاه، فاستحقَّ بهذا الدَّوام أن يشملَه اللهُ تعالى بالهداية[1].

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

الاجتباء والاختيار والاصطفاء:

الاجتباء تقريب الصَّفوة، والاصطفاء أخذ الصَّفوة، والاختيار طلب ما فيه خير

الاجتباء: يَدُلُّ على جَمعِ الشَّيءِ والتَّجَمُّعِ[2]، وهو الجمع على طريق الاصطفاء، واجتباء الله العبدَ: تخصيصُه إيّاه بفيض إلهيٍّ يتحصَّل له منه أنواعٌ من النِّعَم بلا سعي من العبد[3]؛ وذلك "لأنَّ مَن جمع شيئًا لنفسه؛ فقد اختصَّه، واصطفاه، وهو من جَبْوة الله وصفوته"[4]، ويدلُّ على التَّقريب: يقال اجتبى الرَّجلُ الرَّجُلَ؛ إذا قرَّبهُ، قال الله تعالى: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [القلم: 50]، أي: قرَّبهُ[5]، فالاجتباء: تقريب أحدٍ ما باصطفائه من جماعة للنَّفس.

أمّا الاختيار؛ فهو (افتعال) من الخير، وهو: "طلب ما فِعلُهُ خير"[6]، فيدلُّ على تكلُّف طلبِ ما فيه نفعٌ وخير.

وأمّا الاصطفاء؛ فأصلُه من الصَّفاءِ، وهو خلوصُ الشَّيءِ من الشَّوب، والاصطِفاءُ: تناولُ صَفْوِ الشَّيءِ[7]، فالاصطفاء: (افتعال) من الصَّفوة.

ومن هنا فالاختيار أعمُّ الجميعِ، والاجتباء أخصُّ؛ لأنَّ فيه تقريبًا وتخصيصًا، أمّا الاصطفاء؛ فهو الأخصُّ؛ لأنَّه من الصَّفوة، وعبَّر في الآية الكريمة بالاجتباء؛ لأنَّه يشمل كلَّ الصّالحين الذين يقرِّبهم اللهُ تعالى منه، ولا يختصُّ بالأصفياء من خصوص خَلْقه.

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 267.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جبي).
(3) الرّاغب، المفردات: (جبى).
(4) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (جبي).
(5) الخليل، العين: (جبي).
(6) المناويّ، التّوقيف، ص: 41.
(7) الرّاغب، المفردات: (صفو).

التَّفرُّق والاختلاف:

التَّـفـرُّق يشتِّت شملَ الجماعة، ويُـنـتِـجُ الـعِـداء بين أفرادها

أصلُ الاختلاف يدلُّ على مجيء شيءٍ بعد شيءٍ يقوم مقامَه، يقال: اختلف النّاس في كذا؛ لأنَّ كلَّ واحد منهم يُنَحّي قولَ صاحبِه، ويقيمُ نفسَه مقامَ الذي نحّاه[1]، وهو أن يأخذ كلُّ واحد طريقًا غيرَ طريق الآخر، والخِلاف أعمُّ من الضِّدِّ؛ لأنَّ كلَّ ضدَّين مختلفان، وليس كلُّ مختلفين ضدَّين[2]، وهو "افتعال من الخلاف، وهو تقابل بين رأيين فيما ينبغي انفرادُ الرَّأي فيه"[3].

أمّا التَّفرُّق؛ فهو من الفَرْق، ويقال اعتبارًا بالانفصال، فهو الفصل بين الشَّيئين، والتَّفْريقُ أصله للتَّكثير، ويقال ذلك في تشتيت الشَّمل والكلمة[4]، فالاختلاف دالٌّ على المغايرة، وأمّا التَّفرُّق؛ فدالٌّ على التَّشتُّت، فالتَّفرُّق أسوأ من الاختلاف؛ لأنَّه نهايته ونتيجته، فعبَّر في الآية الكريمة بالنَّهي عن التَّفرُّق؛ لأنَّه يُشتِّت الشَّمل، ويفرِّق الجماعة، وتقع به العداوةُ بينهم.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلف).
(2) الرّاغب، المفردات: (خلف).
(3) المناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 41.
(4) الرّاغب، المفردات: (فرق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"